

اتفاق فيينا: حصاد إيران المر

كتبه حسن كمال | 27 يوليو، 2015



مثل الاتفاق النووي الإيراني الأمريكي في فيينا بتاريخ 14 يوليو أحد أهم التحولات الإقليمية منذ عقد ونصف من الزمن في منطقة الشرق الأوسط، فبعد اسقاط طالبان نتيجة هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 ثم اسقاط النظام العراقي في عام 2003 أصبحت إيران هي أقوى اللاعبين الإقليميين في المنطقة وأكثرها اثارة للجدل، فالبرنامج النووي الإيراني كان هو الملف الخارجي الأهم بالنسبة لإسرائيل أولاً، وكان أحد أبرز الملفات المهمة لأمريكا في منطقة الشرق الأوسط، وكذلك الحال بالنسبة لدول الخليج الذي تعتبر إيران أحد أكبر الأخطار الإقليمية حتى أنها تهندس معظم تحالفاتها الخارجية بناءً على ذلك، فهل كان الاتفاق ظاهره الهزيمة وباطنه النصر أم العكس ؟

يمكن تقييم الاتفاق بشكل واضح بعد فهم مكانة وموقع المشروع النووي لدى إيران، فالمشروع النووي كان هو مرتكز الطموح الإيراني الإستراتيجي، وهذا المشروع لم يكن مجرد أداة للتفاوض كما يقول البعض بل كان أحد أهم مشاريع إيران الاستراتيجية، وهذا الرأي سيكون مقبولا فيما لو كانت إيران لم تبدأ بعد بهذا المشروع أو بدأت به بدايات متواضعة، بينما واقع الحال يشير لحجم الجهد المبذول في تخصيب اليورانيوم وأجهزة الطرد المركزي وبناء وتحصين المفاعلات النووية وما يستنزفه ذلك من الاقتصاد الإيراني -والذي تعرض لعقوبات قاسية كانت هي من الدوافع الرئيسية للتخلي عنه لاحقاً- وبالتالي فإن التراجع عن البرنامج النووي يُمثل كُتبا للطموح الإيراني، ووأداً لأحد أهم مشاريع إيران القومية .

على الجهة المقابلة فإن أمريكا لم تقدم أي تنازل "استراتيجي" لإيران، بل وفي توضيحاتها اللاحقة حول طبيعة الاتفاق أكدت على لسان اوباما التزامها بتحالفاتها مع أصدقائها في المنطقة-إشارة

لدول الخليج-كذلك على مواجهة سياسات ايران اللا أخلاقية في قضايا المنطقة كسوريا مثلاً، وهذا يعني أن الاتفاق ألزم ايران كتابياً بنصوص واضحة فيما يتعلق ببرامجها النووي، وكذلك في حظر بيع السلاح إليها خمسة سنوات فيما يتعلق بالأسلحة التقليدية وثمانية سنوات فيما يتعلق بالصواريخ الباليستية، بينما ترك ما هو مطلوب من أمريكا ضبابياً ومتعلقاً بالتطورات السياسية في المنطقة، باستثناء رفع العقوبات الاقتصادية -والتي هي الأساس حق إيراني منع عنها في وضح النهار- .

ورغم أن البعض يرى بأن بمقدور ايران إعادة بناء المشروع النووي بجانبه العسكري بعد خمسة عشرة عامًا إلا أن هذا الأمر ليس بتلك السهولة المتصورة، لأنه في تلك الحالة ستعود ايران لنقطة الصفر أولاً، ولكون اقتصادها سيرتبط بشكل عضوي في الاقتصاد العالي والسوق العالمية خصوصاً في مجال النفط والغاز ثانياً -وهذا أحد أسباب دوافعها لتوقيع الاتفاق أصلاً- وستتخلى رويداً عن اقتصاد الحرب -والذي شكل لها نقطة قوة فيما يتعلق بمواجهة العقوبات الدولية- وستصبح متأثرة بأي عقوبات جديدة تفرض عليها بشكل أكثر فعالية، مما سيمنعها من التفكير بتحدي الدول الكبرى في هذه القضية، مما سيضعها في خيارين، إما العودة لنقطة الصفر التي تخلت عنها قبل خمسة عشرة عامًا، أو المضي قدماً وعدم إعادة بناء المشروع النووي كما كان .

كما أن النظر لإيران كلاعب اقليمي مهم، وطرف أساس في المنطقة الشرق أوسطية لم يكن بحاجة لاتفاق أصلاً، فبعد احتلال العراق وأفغانستان-ودور ايران في ذلك-بدأت الإدارة الأمريكية تتعامل مع ايران كلاعب لا يمكن تجاهله، وبدأت تغض النظر عن مصالح ايران خصوصاً في العراق وأفغانستان، وبالتالي لا يمكن القول بأن ايران حققت مكاسباً سياسية تتمثل باعتراف أمريكا بمصالحها وغض النظر عنها مقابل التنازل عن البرنامج النووي، لأنه وكما وضحت سابقاً فإن هذا الاعتراف حصل ضمناً بعد احتلال العراق وإلى الآن .

حق هذه المصالح التي احترمتها امريكا، ودور ايران في المنطقة كل هذا يقع على عاتق ايران في المقام الأول دون أي التزام أمريكي بضمان وجودها بعكس الحالة الإسرائيلية-حيث تلتزم أمريكا بحماية المصالح الإسرائيلية وضمان تفوقها في كافة النواحي-مما يعني أن هذه المكاسب عرضة للضياع في حالة وجود ردة فعل منظمة من قبل العرب في سوريا والعراق واليمن-وهذا ما بدا واضحاً في اليمن على أقل تقدير- .

ويبقى السؤال، إن كان الاتفاق يمثل تنازلاً إيرانياً فادحاً، أو بمعنى أدق هزيمة منمقة ومهذبة، فلماذا تجرعت ايران السم بتوقيعها على الاتفاق ؟

ويمكن فهم الإجابة من خلال فهم طبيعة الدور الإيراني ونظرة المنطقة العربية له-والتي كانت من المفترض أن تشكل رافعة للمشروع النهضوي الإيراني-بعد الدور السلي واللاأخلاقي لإيران في العراق وأفغانستان أولاً، ثم وقوفها الفج ضد التطلعات الثورية العربية خصوصاً في سوريا واليمن ثانياً، وكذلك دورها في تنمية الصراع المذهبي المدمر في الدول العربية ثالثاً، مما جعل ايران تفقد العمق العربي، وتدخل في صدام مدمر ومكلف معه، مما دفعها للاتجاه غرباً-وهذا ما حصل تاريخياً مع تركيا بعد الثورات العربية ضدها-بعكس تركيا في الفترة الأخيرة حيث ازداد التوجه الشرقي لديها بسبب القبول العربي الشعبي بدورها الإقليمي، مما جعل الاستمرار في المشروع النووي صفقة خاسرة

بكل المقاييس، فلا اقتصادها قادر على تحمل أعباء هذا المشروع، ولا هو قادر على تحمل أعباء مشروعها السياسي في المنطقة العربية .

وكملاحظة أخيرة، كانت مقاومة الحركات السنية في العراق للإحتلال الأمريكي وافشال حملته العسكرية عليه، وكذلك الدور البطولي للتنظيمات العربية-حزب الله/حماس-في مواجهة الغطرسة الإسرائيلية دورًا مهمًا جدًا في منع أي حملة عسكرية سواء كانت أمريكية أو إسرائيلية ضد إيران، وقد كان بمقدور إيران أن تستفيد إيجابيًا من هذا التفاعل العربي، وأن تتضامن معه وتقف بجانب تطلعاته-والتي هي بالأصل مثل تطلعات الثورة الإيرانية ومبادئها-لا أن تقدم مصالحها الخاصة على مصالح المنطقة ككل .

رابط المقال : [/https://www.noonpost.com/7666](https://www.noonpost.com/7666)